قصص من وحي الحديث الشريف

7



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

قصة الحطاب

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود

تصميم : عبد الشافي سيد

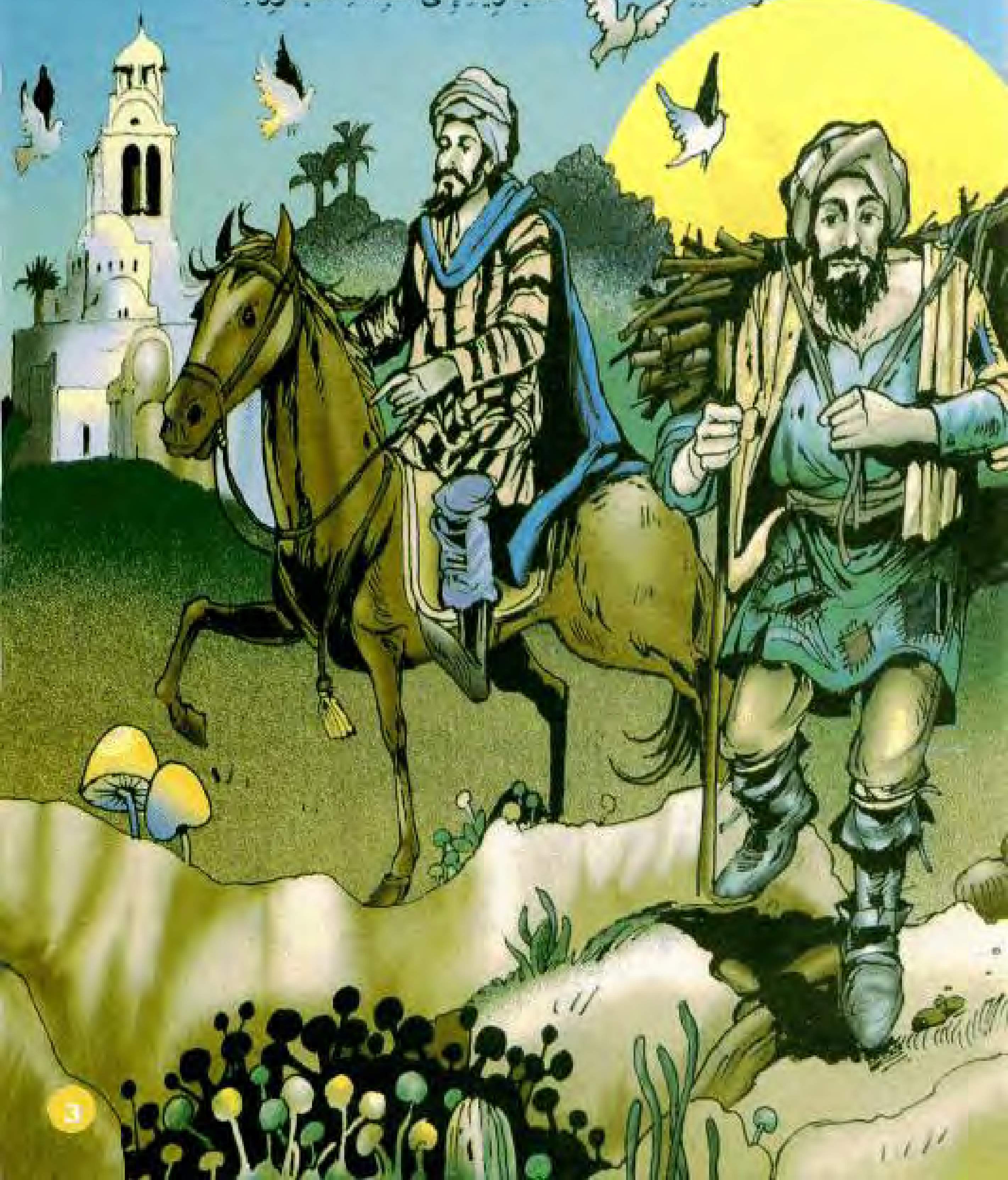
رسوم : محمد حماد

زَمَانٌ .. زَمَانٌ ..
بَعْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (عليه الصلاة والسلام) ..
كَانَ يَعِيشُ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ ..
الْأَصْغَرُ هُوَ (حَامِدٌ) ..
وَالْأَوْسَطُ هُوَ (مَحْمُودٌ) ..
وَالْأَكْبَرُ هُوَ (حَمْدَانُ) ..



وَكَانَ الأَبُ تَاجِرًا اشْتَهَرَ بِالأَمَانَةِ بَيْنَ النَّاس ، فَأَحَبَّهُ الجَمِيعُ ، وَرَبِحَتْ تِجَارَتُهُ ..

كَمَا كَانَ الأَبُ يَمْتَلِكُ قِطْعَةَ أَرْضٍ يَزْرَعُهَا فِي وَقْتِ فَرَاغِهِ مِنْ رِحْلَاتِهِ التِّجَارِيَّةِ إِلَى البِلَادِ المُجَاوِرَةِ ..



وَذَاتَ يَوْمٍ كَبِرَ الأَبُ فِي السِّنِّ ، فَأَقْعَدَهُ التَّعَبُ عَنِ الْعَمَلِ ..
جَمَعَ الأَبُ أَوْلادَهُ الثَّلاثَةَ وَقَالَ لَهُمْ :
- لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي ، وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْخُرُوجِ فِي أَفْوَاجِ التِّجَارَةِ ،
كَمَا أَنَّنِي غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى زِرَاعَةِ الأَرْضِ .. وَقَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَحُلُّوا مَحَلِّي فِي الْعَمَلِ ..



فقالَ ألابْنُ ألأكْبرُ (حمْدانُ) :

- أنَا حَاذِقٌ وبارِعٌ فِى أُمُورِ التِّجارة .. لِذلِكَ أرْجُوكَ يا أبى أنْ تكِلَ لِى أمْرَ تِجارَتِكَ ، وسَوْفَ أبْذُلُ كُلَّ جهْدِى لأُنَمِّيَهَا .. فقالَ الأبُ :

- لكَ مَا تُرِيدُ بِشرْطِ أنْ تُنمِّيَها بِالرِّبْحِ الْحَلالِ ، والصِّدْقِ فِى الْبيْعِ والشِّراءِ لأنَّ التَّاجِرَ الأمِينَ الصَّدُوقَ مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهداءِ يوْمَ الْقِيامةِ ..

فقَالَ (حمْدانُ) :

- إنْ شاءَ اللهُ أفْعلُ ..

- وقَالَ الابْنُ الأوْسطُ (محْمُودٌ) :

- أنَا أفْهمُ كثِيرًا فِى شُئُونِ الزِّراعةِ يا أبِى .. لِذلِكَ أرْجُوكَ أنْ تكِلَ إلَىَّ قِطْعةَ الأرْضِ .. وسَوْفَ أبْذُلُ كُلَّ جُهْدِى لأُنَمِّيهَا ..

فقَالَ الأبُ :

- لكَ مَا تُرِيدُ يا محْمُودُ ، ولَكِنْ بِشرْطِ أنْ تعْمَلَ فِى زِراعةِ الأرْضِ بِيدَيْكَ ، وإذَا استَأْجرْتَ مزَارعِينَ لِمُساعدَتِكَ أنْ تُعْطِيَهُمْ أجْرَهُمْ قبْلَ أنْ يجِفَّ عرَقُهُمْ.

فقَالَ (محْمُودٌ) :

- إنْ شاءَ اللهُ أفْعلُ يا أبِى .



أَمَّا الابْنُ الأَصْغَرُ (حَامِدٌ) فَلَمْ يكُنْ هُنَاكَ مَا يُجِيدُ أَدَاءَهُ وَلِذَلِكَ لَمْ يَطْلُبْ مِنَ الأَبِ أَنْ يُسْنِدَ إِلَيْهِ عَمَلاً فِى التِّجَارَةِ أَوِ الزِّرَاعَةِ .. كَمَا أَنَّ الأَبَ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ عَمَلٌ آخَرُ لِيُسْنِدَهُ إِلَيْهِ .. وَلَمْ يكُنْ لَدَيْهِ شَيءٌ يُقَدِّمُهُ لـ (حَامِدٍ) سِوَى بَلْطَةٍ قَدِيمَةٍ كَانَ الأَبُ يَحْتَفِظُ بِهَا فِى رُكْنِ الدَّارِ ، لِيَسْتَخْدِمَهَا وَقْتَ الْحَاجَةِ فِى قَطْعِ الأَخْشَابِ مِنَ الْغَابَةِ لاسْتِخْدَامِهَا فِى الْوَقُودِ .



وَضَعَ (حَامِدٌ) الْبَلْطَةَ الْقَدِيمَةَ فِى رُكْنِ حُجْرَتِهِ ، وَنَسِيَهَا تَمَامًا ..
وَمَضَتْ أَيَّامٌ .. وَشُهُورٌ .. عَمِلَ خِلالَهَا (حَمْدَانُ) عَلَى تَنْمِيَةِ تِجَارَةِ وَالِدِهِ ،
فَزَادَتْ أَرْبَاحُهُ وَتَوَسَّعَ فِى تِجَارَتِهِ ..
وعَمِلَ (مَحْمُودٌ) عَلَى زِرَاعَةِ قِطْعَةِ الأَرْضِ فَجَنَى مِنْهَا ، مَحْصُولاً وَفِيرًا ..
أَمَّا (حَامِدٌ) فَلَمْ يَكُنْ يَعْمَلُ ..



وَذَاتَ يَوْمٍ خَلاَ (حَامِدٌ) إِلَى نَفْسِهِ ، وَتَأَمَّلَ حَيَاتَهُ ، وَكَيْفَ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَلَّمْ حِرْفَةً أَوْ مِهْنَةً يَتَكَسَّبُ مِنْهَا ، بَيْنَمَا أَخَوَاهُ كُلٌّ مِنْهُمَا يَعْمَلُ فِى حِرْفَةٍ تُدِرُّ عَلَيْهِ دَخْلاً ..

ثُمَّ أَمْسَكَ الْبَلْطَةَ الْقَدِيمَةَ وَقَلَّبَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ .. ثُمَّ حَدَّثَ نَفْسَهُ قَائِلاً :

- كَيْفَ أَعِيشُ بِلا عَمَلٍ أَتَكَسَّبُ مِنْهُ ؟
وَفِيمَ تُفِيدُنِى هَذِهِ الْبَلْطَةُ الْقَدِيمَةُ ؟



وهكَذَا ضَاقَتِ الْحَيَاةُ أَمَامَهُ ، وَاسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِى عَيْنَيْهِ ، خَاصَّةً وَأَنَّ أَخَوَيْه (حَمْدَانَ) و (مَحْمُودًا) قَدِ اسْتَقَلَّ كُلٌّ مِنْهُمَا بِحَيَاتِهِ ، وَتَزَوَّجَ وَفَتَحَ بَيْتًا ، وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ مِنْهُمَا يُقَدِّمُ لَهُ نُقُودًا ..

وَبِرَغْمِ أَنَّ (حَامِدًا) قَدْ كَرِهَ نَفْسَهُ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْقِدْ عَلَى أَخَوَيْهِ بِسَبَبِ اسْتِقْلالِهِمَا بِأَرْضِ الأَبِ وَتِجَارَتِهِ ..



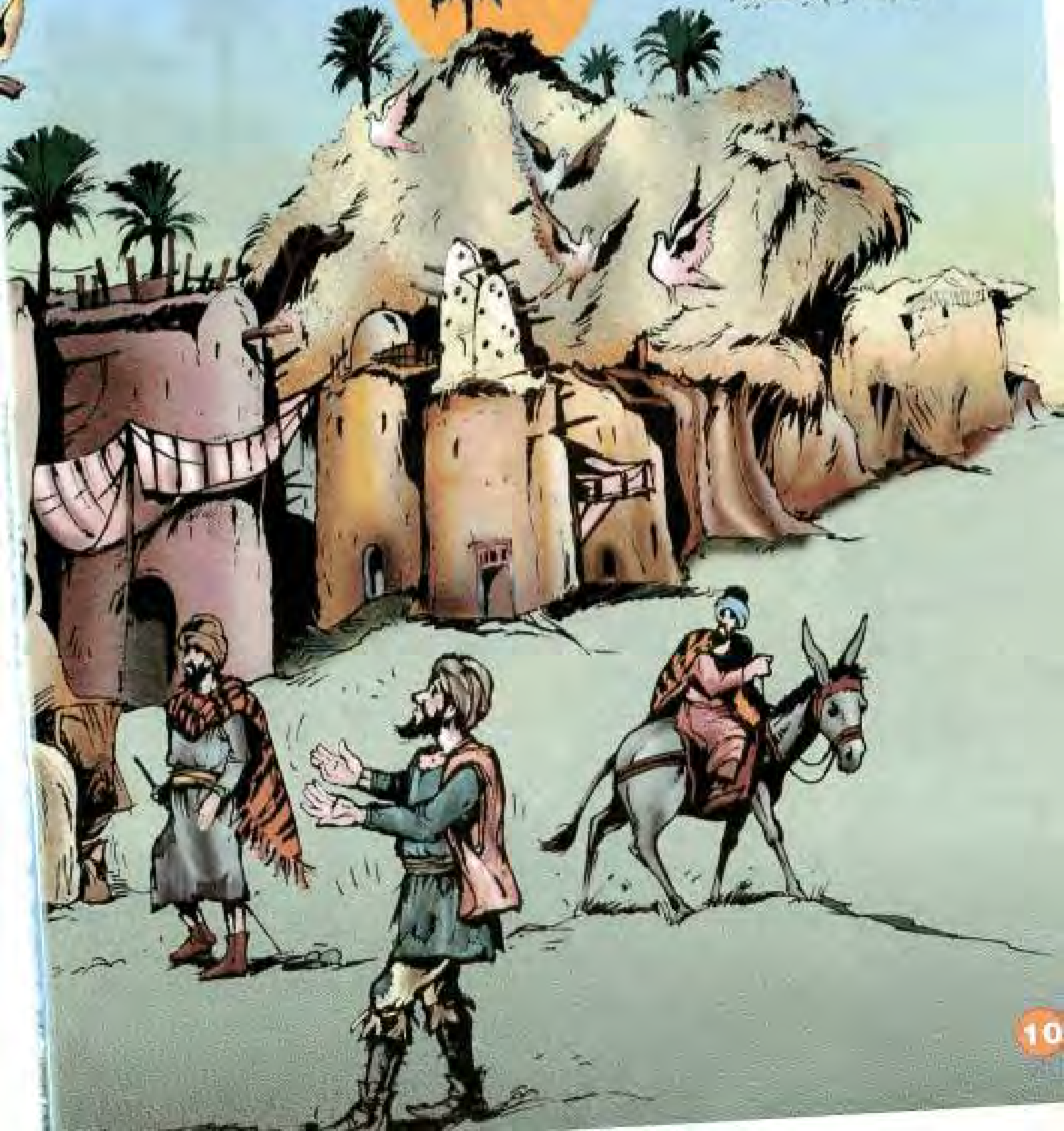
فَكَّرَ (حَامِدٌ) طَوِيلًا فِى الطَّرِيقَةِ الَّتِى يَكْسِبُ بِهَا عَيْشَهُ لِيَكُونَ لَهُ مَالٌ وَبَيْتٌ وَزَوْجَةٌ مِثْلَ أَخَوَيْهِ ..

وَكَانَ أَسْهَلُ طَرِيقٍ قَرَّرَ أَنْ يَتَّبِعَهُ هُوَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الشَّوَارِعِ مُتَسَوِّلًا النَّاسَ سَوَاءٌ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ ..

وَهَكَذَا خَرَجَ (حَامِدٌ) إِلَى الشَّارِعِ مُتَسَوِّلًا النَّاسَ وَكَانَ خُرُوجُهُ إِلَى الشَّارِعِ فِى يَوْمِ الْجُمُعَةِ ..

وَكَانَ الْوَقْتُ قَبْلَ أَذَانِ الْجُمُعَةِ بِقَلِيلٍ ..

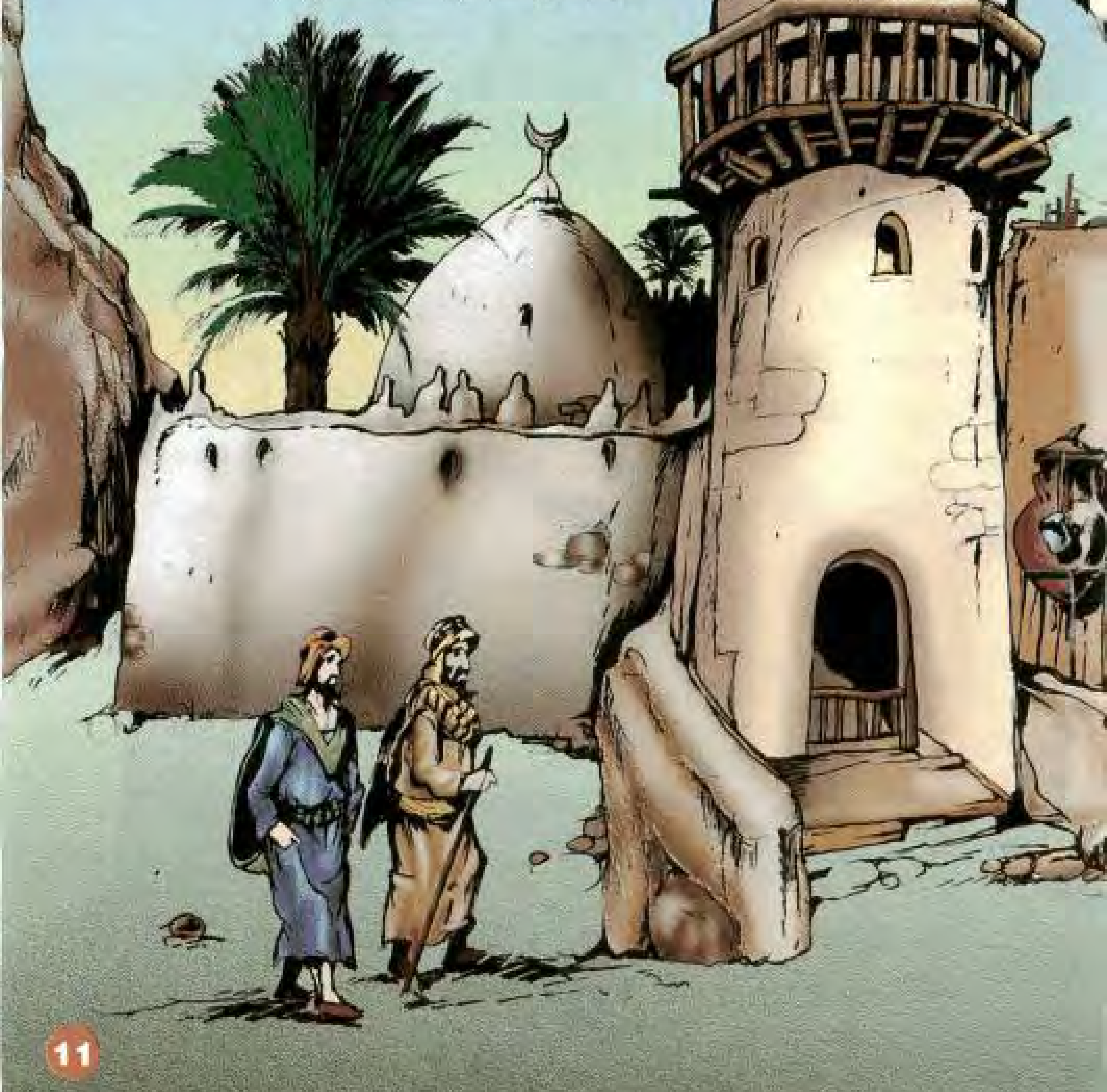
قَالَ (حَامِدٌ) لِنَفْسِهِ :



- سَوْفَ أَتَخَيَّرُ مَسْجِدًا وَأَنْتَظِرُ أَمَامَهُ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْمُصَلُّونَ مِنْ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ ثُمَّ أَتَسَوَّلُهُمْ ..

وَبَيْنَمَا هُوَ وَاقِفٌ أَمَامَ الْمَسْجِدِ تَذَكَّرَ هَذِهِ الآيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ الْكَرِيمَةَ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾



تَذَكَّرَ (حَامِدُ) أَنَّ هَذَا الْوَقْتَ هُوَ وَقْتُ صَلاةِ الْجُمُعَةِ الَّذِى يَجِبُ أَنْ يَتَوَقَّفَ فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْ عَمَلِهِ ، وَيَسْعَى إِلَى الْمَسْجِدِ لأَدَاءِ الصَّلاَةِ..

دَخَلَ (حَامِدُ) إِلَى الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ .. ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَىْ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ ، وَرَكْعَتَىْ سُنَّةِ الْجُمُعَةِ .. ثُمَّ جَلَسَ يُنْصِتُ إِلَى خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ ، حَيْثُ كَانَ الْخَطِيبُ قَدْ صَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَبَدَأَ خُطْبَتَهُ ..

وَكَانَ مَوْضُوعُ الْخُطْبَةِ الَّذِى تَحَدَّثَ فِيهِ الْخَطِيبُ عَنِ الْعَمَلِ وَقِيمَتِهِ فِى الْحَيَاةِ .. وَكَيْفَ أَنَّ الْعَمَلَ قِيمَةٌ عُظْمَى تَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ صَاحِبِهَا ، وَتَجْعَلُهُ مُكَرَّمًا بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَقْبُولاً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .. حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْعَمَلُ الَّذِى يَقُومُ بِهِ الإِنْسَانُ وَيَعِيشُ مِنْهُ عَمَلاً بَسِيطًا يَحْتَقِرُهُ النَّاسُ .. كَمَا تَحَدَّثَ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْمَلُونَ ، وَكَيْفَ أَنَّ مَنْزِلَةَ الْعَامِلِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَنْزِلَةِ الْعَاطِلِ ..

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ قِصَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ) مَعَ الرَّجُلِ الَّذِى جَلَسَ فِى خَلْوَةٍ يَعْبُدُ اللَّهَ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَمَلٌ يَتَقَوَّتُ مِنْهُ ، فَلَمَّا سَأَلَ عَمَّنْ يَكْفُلُهُ ، قَالُوا لَهُ إِنَّ أَخَاهُ هُوَ الَّذِى يَكْفُلُهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ أَخَا هَذَا الرَّجُلِ أَفْضَلُ مِنْهُ ، لأَنَّ الْعَمَلَ عِبَادَةٌ ..



كَمَا ذَكَرَ الْخَطِيبُ أَيْضًا قِصَّةَ الرَّجُلِ الْمُتَسَوِّلِ الَّذِى جَاءَ إِلَى النَّبِىِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، يَسْأَلُهُ مَالاً ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَوْلَتَهُ الشَّهِيرَةَ :

« لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلاً فَيَحْتَطِبَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ (يَتَسَوَّلَ النَّاس) أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » ..

هُنَا تَنَبَّهَ (حَامِدٌ) إِلَى كَلَامِ الْخَطِيبِ ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ بِنُورِ السَّعَادَةِ ، فَتَسَاءَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ :

كَيْفَ غَابَتْ عَنِّى هَذِهِ الفِكْرَةُ ، وَأَنَا أَحْفَظُ هَذَا الْحَدِيثَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟

لِمَاذَا لا أَتَّخِذُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَمِنْ تَوْجِيهِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَهُ قُدْوَةً ؟

لِمَاذَا لاَ أَعْمَلُ حَطَّابًا .. إِنَّ هَذَا الْعَمَلَ لاَ يَحْتَاجُ لِرَأْسِ مَالٍ ، وَكُلُّ الأَدَوَاتِ اللاَّزِمَةِ لِمِهْنَةِ الْحَطَّابِ هِىَ بَلْطَةٌ وَحَبْلٌ .. وَأَنَا أَمْتَلِكُ الْبَلْطَةَ ، أَمَّا الْحَبْلُ فَأَمْرُهُ سَهْلٌ .. لَقَدْ أَدْرَكْتُ الآنَ قِيمَةَ الْبَلْطَةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِى أَهْدَانِى وَالِدِى إِيَّاهَا ، وَلَمْ أَسْتَخْدِمْهَا .. مُنْذُ الآنَ سَتَكُونُ هَذِهِ الْبَلْطَةُ أَدَاتِى فِى الْعَمَلِ وَكَسْبِ الرِّزْقِ ..



وَبَيْنَمَا (حَامِدٌ) شَارِدٌ فِى تَأَمُّلَاتِهِ وَخَوَاطِرِهِ السَّعِيدَةِ ، انْتَهَى الْخَطِيبُ مِنْ خُطْبَتِهِ ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَلَمَّا انْتَهَتِ الصَّلَاةُ انْتَشَرَ الْمُصَلُّونَ فِى أَرْجَاءِ الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرِزْقِهِ ..

أَمَّا (حَامِدٌ) فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَقَدْ تَخَلَّى تَمَامًا عَنْ فِكْرَةِ التَّسَوُّلِ ، وَاتَّخَذَ قَرَارَهُ أَنْ يَعْمَلَ حَطَّابًا ..

ذَهَبَ (حَامِدٌ) إِلَى دَارِهِ ، فَأَخْرَجَ الْبَلْطَةَ الْقَدِيمَةَ مِنْ مَكْمَنِهَا ، وَتَحَسَّسَهَا بِرِفْقٍ .. ثُمَّ ضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ فِى حُبٍّ ، وَأَخَذَ حَبْلًا بَالِيًا (قَدِيمًا) كَانَ مُلْقًى فِى رُكْنِ الدَّارِ وَانْصَرَفَ قَاصِدًا الْغَابَةَ الْبَعِيدَةَ ..



فِي الْغَابَةِ بَدَأَ (حَامِدٌ) عَمَلَهُ فِي قَطْعِ الأَخْشَابِ وَجَمْعِ الأَحْطَابِ وَفُرُوعِ الأَشْجَارِ الْيَابِسَةِ الَّتِي تَصْلُحُ وَقُودًا .. كَانَ الْعَمَلُ فِي بِدَايَتِهِ شَاقًا وَمُرْهِقًا .. لَكِنَّهُ سَرْعَانَ مَا تَعَوَّدَهُ .. وَفِي النِّهَايَةِ تَمَكَّنَ مِنْ جَمْعِ حِمْلٍ كَبِيرٍ مِنَ الْحَطَبِ .. فَحَمَلَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبِيعَهُ ..



بَاعَ (حَامِدٌ) حِمْلَهُ مِنَ الْحَطَبِ وَقَبَضَ ثَمَنَهُ .. كَانَ الثَّمَنُ زَهِيدًا ، لَكِنَّهُ يَكْفِي مُسْتَلْزَمَاتِ حَامِدٍ الْبَسِيطَةَ .. وَكَانَ (حَامِدٌ) سَعِيدًا لأَنَّ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الأُولَى الَّتِي يَكْسِبُ فِيهَا نُقُودًا مِنْ كَدِّ يَدِهِ ..وَفِي اللَّيْلِ عِنْدَمَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ تَحَسَّسَ (حَامِدٌ) يَدَيْهِ .. كَانَتْ يَدَاهُ خَشِنَتَانِ وَمُشَقَّقَتَانِ وَتُؤْلِمَانِهِ مِنْ أَثَرِ الْعَمَلِ فِي قَطْعِ الْخَشَبِ ، لَكِنَّهُ كَانَ سَعِيدًا لأَنَّهُ تَعَشَّى هَذِهِ اللَّيْلَةَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ..

وَلأَوَّلِ مَرَّةٍ يُدْرِكُ (حَامِدٌ) مَعْنَى قَوْلِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»

أَدْرَكَ (حَامِدٌ) ذَلِكَ وَعَرَفَ أَنَّ (الْيَدَ الْعُلْيَا) هِيَ الْيَدُ الَّتِي تَعْمَلُ فَتَكْسِبُ وَتُعْطِي الْفَقِيرَ وَ الْمُحْتَاجَ وَغَيْرَ الْقَادِرِ عَلَى الْعَمَلِ ، وَأَنَّ (الْيَدَ السُّفْلَى) هِيَ الْيَدُ الَّتِي يَمُدُّهَا صَاحِبُهَا لِيَسْأَلَ النَّاسَ وَيَتَسَوَّلَهُمْ ، وَقَدْ يُعْطُونَهُ أَوْ يَنْهَرُونَهُ ..

وَأَدْرَكَ أَيْضًا أَنَّ (الْيَدَ الْعُلْيَا) هِيَ الْيَدُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، لأَنَّهَا يَدٌ تَعْمَلُ فِي عِمَارَةِ الْحَيَاةِ ..

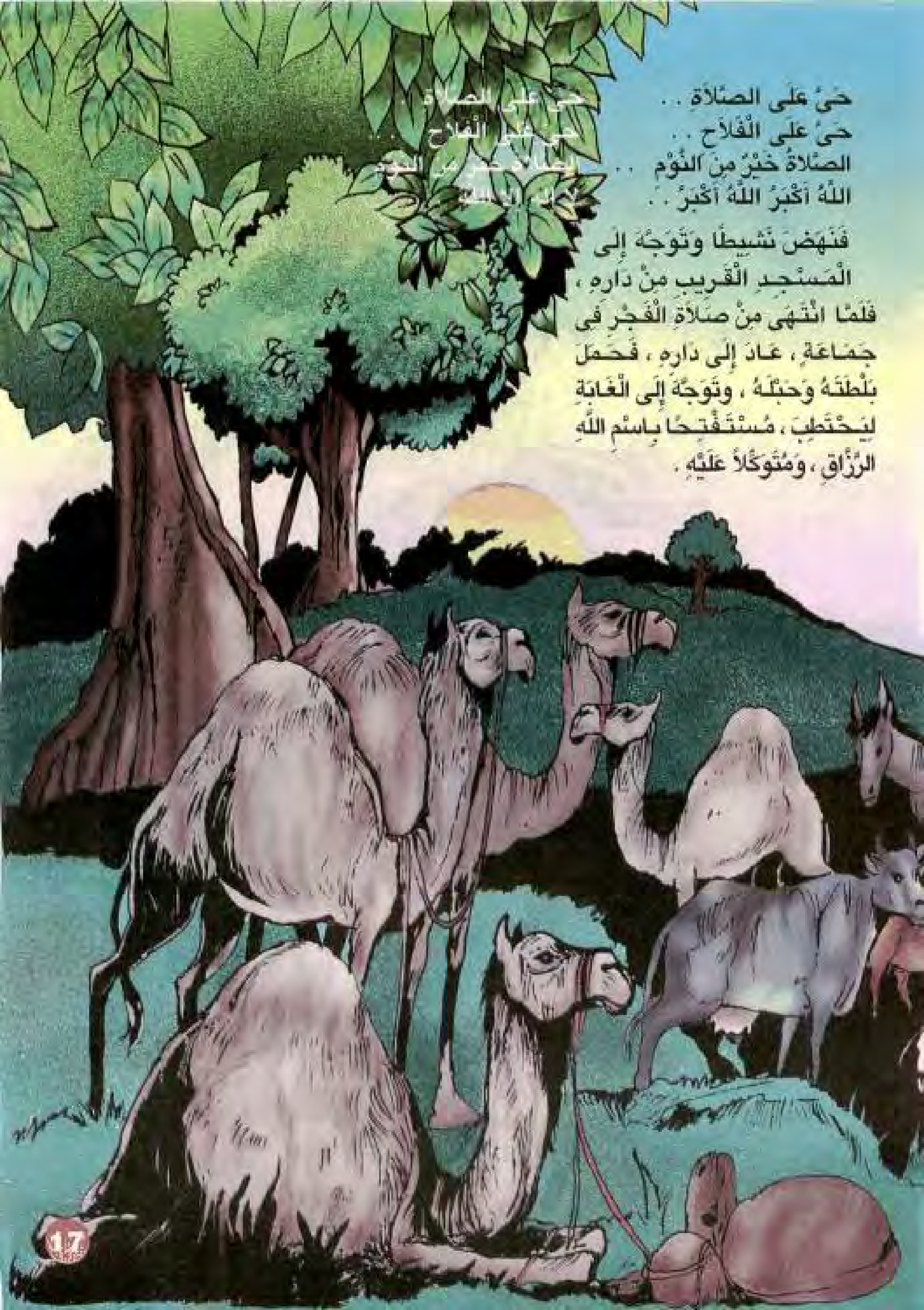
وَنَامَ (حَامِدٌ) لَيْلَتَهُ سَعِيدًا ..

اسْتَيْقَظَ (حَامِدٌ) فِي آخِرِ اللَّيْلِ عَلَى صَوْتِ مُؤَذِّنِ الْفَجْرِ ، وَهُوَ يُؤَذِّنُ لِلصَّلاَةِ :



حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ . .
حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ . .
الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ . .
اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ . .

فَنَهَضَ نَشِيطًا وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْقَرِيبِ مِنْ دَارِهِ ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي جَمَاعَةٍ ، عَادَ إِلَى دَارِهِ ، فَحَمَلَ بَلْطَتَهُ وَحَبْلَهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْغَابَةِ لِيَحْتَطِبَ ، مُسْتَفْتِحًا بِاسْمِ اللّهِ الرَّزَّاقِ ، وَمُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ .



وَفِي هَذَا الْيَوْمِ بَذَلَ (حَامِدٌ) مَجْهُودًا أَكْبَرَ ، فَتَمَكَّنَ مِنْ جَمْعِ حِمْلَيْنِ مِنَ الْحَطَبِ ، بَاعَهُمَا فِي الْمَدِينَةِ ، فَزَادَ دَخْلُهُ ، وَنَامَ لَيْلَتَهُ شَاكِرًا رَبَّهُ ، وَحَامِدًا فَضْلَهُ ..

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ جَمَعَ ثَلَاثَةَ أَحْمَالٍ ..

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ جَمَعَ أَرْبَعَةَ أَحْمَالٍ ..

وَفِي نِهَايَةِ الْيَوْمِ السَّابِعِ كَانَ قَدْ أَصْبَحَ قَادِرًا عَلَى جَمْعِ سَبْعَةِ أَحْمَالٍ مِنَ الْحَطَبِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ ..



وَأَصْبَحَ مَا يَكْسِبُهُ فِى الْيَوْمِ الْوَاحِدِ يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِهِ .. فَأَخَذَ يَدَّخِرُ كُلَّ يَوْمٍ جُزْءًا مِنَ النُّقُودِ ..

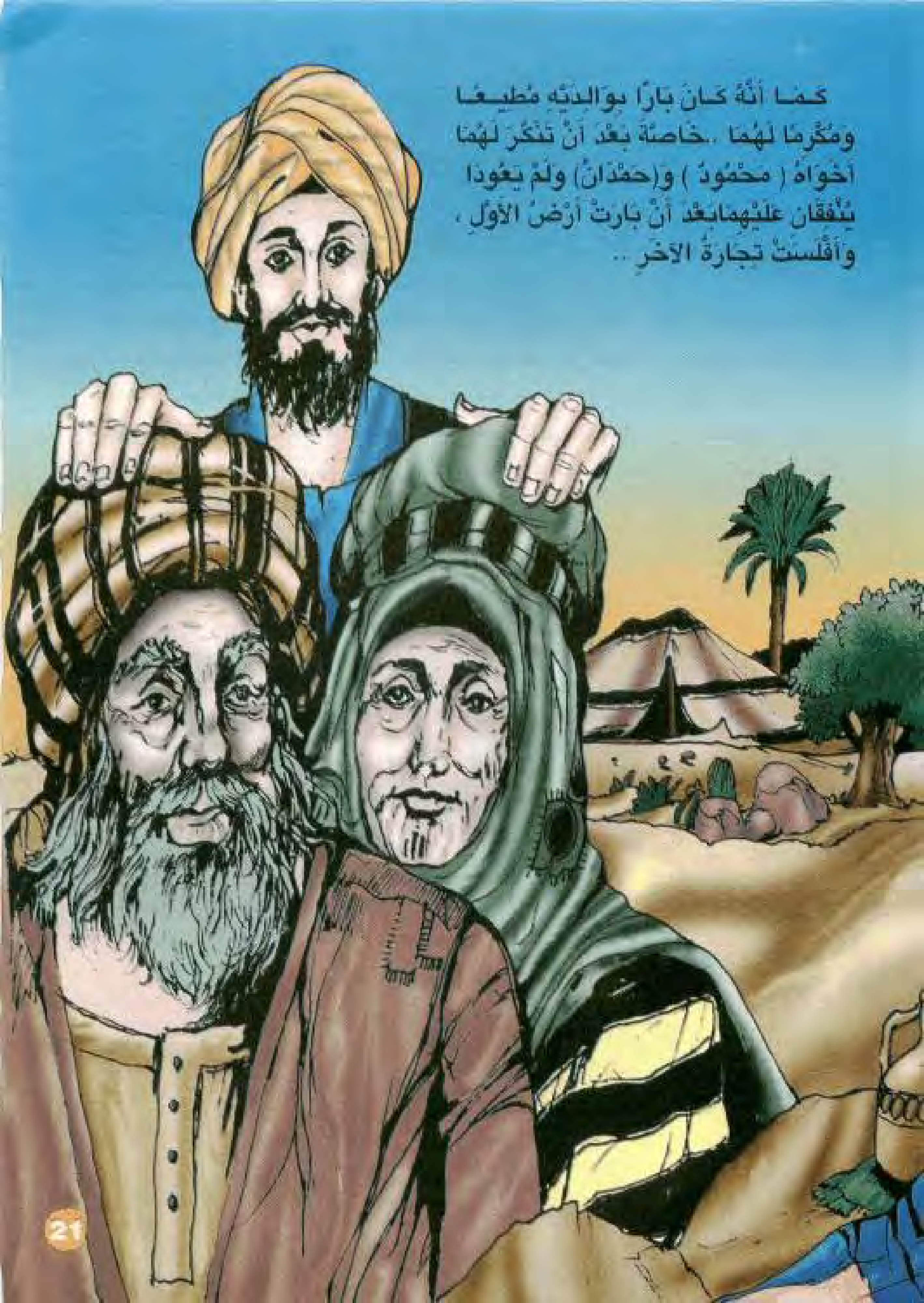
وَبِمُرُورِ الأيَّامِ تَزَايَدَتْ مُدَّخَرَاتُ (حَامِدٍ) فَاشْتَرَى بَيْتًا صَغِيرًا وَأَثَّثَهُ .. ثُمَّ بَحَثَ عَنْ زَوْجَةٍ طَيِّبَةٍ وَتَزَوَّجَهَا ..



وَبِمُرُورِ الأَيَّامِ أَنْجَبَ وَلَدًا وَبِنْتَيْنِ .. فَعَاشَ حَيَاةً سَعِيدَةً مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلادِهِ ..

وَبِمُرُورِ الأَيَّامِ جَمَعَ (حَامِدٌ) ثَرْوَةً كَبِيرَةً بِالْحَلالِ مِنْ عَمَلِهِ فِى جَمْعِ الْحَطَبِ ، وَأَصْبَحَ وَاحِدًا مِنْ أَثْرِيَاءِ قَرْيَتِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُفَّ يَوْمًا عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْغَابَةِ وَجَمْعِ الْحَطَبِ .. لَمْ يَحْتَقِرْ عَمَلَهُ الشَّرِيفَ ، بَلْ كَانَ فَخُورًا بِهِ .. وَكَانَ مَحْبُوبًا مِنْ فُقَرَاءِ قَرْيَتِهِ ، لأَنَّهُ كَانَ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً .





كمَا أنَّهُ كَانَ بارًا بِوَالِدَيْهِ مُطِيعًا وَمُكْرِمًا لَهُمَا ،خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ تَنَكَّرَ لَهُمَا أَخَوَاهُ (مَحْمُودٌ) وَ(حَمْدَانُ) ولَمْ يَعُودَا يُنْفِقَانِ عَلَيْهِمَابَعْدَ أَنْ بَارَتْ أَرْضُ الأَوَّلِ ، وَأَفْلَسَتْ تِجَارَةُ الآخَرِ ..

أصْبَحَ (حَامِدٌ) وَاحِدًا مِنْ أثْرِيَاءِ قَرْيَتِهِ ، فَأصْبَحَ يَمْتَلِكُ أرْضًا زِرَاعِيَّةً وَقُطْعَانًا مِنَ الإبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْمَاشِيَةِ .

أمَّا (حَمْدَانُ) التَّاجِرُ ، فَقَدْ أصْبَحَ فَقِيرًا بَعْدَ أنْ كَسَدَتْ تِجَارَتُهُ وَأفْلَسَتْ نَتِيجَةَ غِشِّهِ فِى الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، فَعَرَفَ النَّاسُ أنَّهُ تَاجِرٌ غَشَّاشٌ ، فَلَمْ يَعُدْ أحَدٌ يَتَعَامَلُ مَعَهُ بِالْبَيْعِ أوِ الشِّرَاءِ .. وَفِى النِّهَايَةِ أصْبَحَ فَقِيرًا مُعْدِمًا يَتَسَوَّلُ النَّاسَ ..

وَهَكَذَا خَسِرَ كُلَّ شَىْءٍ لأنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِنَصِيحَةِ وَالِدِهِ ..

أمَّا (مَحْمُودٌ) فَقَدْ كَانَ كَسُولاً مُعْتَمِدًا عَلَى غَيْرِهِ فِى زِرَاعَةِ أرْضِهِ .. كَانَ يَسْتَأْجِرُ مُزَارِعِينَ لِيَزْرَعُوا لَهُ الأرْضَ ، وَلَمْ يَكُنْ يُشْرِفُ عَلَى زِرَاعَتِهِ أوْ يُوَالِيهَا بِالرِّعَايَةِ كَمَا يَفْعَلُ كُلُّ فَلاَّحٍ .. وَبِمُرُورِ الأيَّامِ أصْبَحَ يَسْتَدِينُ لِيَدْفَعَ أُجُورَ الْمُزَارِعِينَ ، وَبِمُرُورِ الأيَّامِ تَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ الدُّيُونُ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى سَدَادِهَا مِنْ مَحْصُولِ الأرْضِ الْقَلِيلِ . فَبَاعَ الأرْضَ سَدَادًا لِلدُّيُونِ الَّتِى عَلَيْهِ ، وَأصْبَحَ عَاطِلاً عَنِ الْعَمَلِ يَتَسَوَّلُ النَّاسَ ، لأنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِنَصِيحَةِ أبِيهِ ..





عَلِمَ (حامدٌ) بِمَا آلَ إِلَيْهِ حَالُ أَخَوَيْهِ ، فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَتْرُكَهُمَا لِلْفَقْرِ وَالتَّسَوُّلِ ، كَمَا فَعَلَا مَعَهُ مِنْ قَبْلُ ، بَلْ إِنَّهُ بَحَثَ عَنْهُمَا ، وَأَحْضَرَهُمَا وَقَالَ لَهُمَا :

لَقَدْ صِرْتُ بِفَضْلِ اللهِ ، وَبِفَضْلِ عَمَلِي فِي جَمْعِ الْحَطَبِ وَاحِدًا مِنْ أَثْرِيَاءِ قَرْيَتِي .. لَمْ أَحْصُلْ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الثَّرْوَةِ بِالْكَسَلِ وَالتَّوَاكُلِ ، وَلَكِنْ بِالْجِدِّ وَالْعَمَلِ الْمُتَوَاصِلِ ..

أمَّا أنْتُما فقدْ أضاعَ كلٌّ منكُما ثروتَهُ لأنَّهُ لمْ يتْعبْ في جمْعِها مثْلي .. مُنْذُ الآنَ سَيحْملُ كلٌّ منكُما بلْطةً وحبْلاً ، وسوْفَ تخْرُجانِ معي للعملِ في جمْعِ الْحطبِ .. ليْسَ عيْبًا أنْ يعْملَ الإنْسانُ عملاً متواضِعًا ، الْمُهمُّ أنْ يكُونَ عملاً شريفًا يحْترِمُهُ النَّاسُ ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسُولُهُ ..

وأعْطى كلَّ واحدٍ منْ أخويْهِ بلْطةً وحبْلاً ..

وفي الْيوْمِ التَّالي نهضَ الإخْوةُ الثَّلاثةُ مُبكِّرين إلى الْغابةِ لجمْعِ الْحطبِ ..

وكما حدثَ معَ (حامِد) منْ قبْلُ شعرَ الأخوانِ (محْمُود)

و (حمْدانُ) بلذَّةِ الْعملِ والْكسْبِ الْحلالِ .. وأدْركَ كلُّ واحدٍ منْهُما معْنى قوْلِ الرَّسُولِ (صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم) « لأنْ يأْخُذَ أحدُكُمْ حبْلاً فيحْتطِبَ خيْرٌ منْ أنْ يسْألَ النَّاسَ أعْطوْهُ أو منعُوهُ » ..

وعاشَ الإخْوةُ الثَّلاثةُ بعْدَ ذلكَ سُعداءَ ..

(تمت)

